المحاضرة رقم 08: إمارات الهوسا الإسلامية في شمال نيجيريا.

إمارات الهوسا – ما يعرف بنجيريا الشمالية – وجزء من جمهورية النيجر- محصورة بين سلطنتي " مالي " وصنغاي غربًا وسلطنة "البرنو " شرقًا تحدها شمالاً الصحراء الكبرى وجبال أهير وجنوبًا ما يعرف اليوم بنجيريا الجنوبية .

سميت بالإمارات نسبة أن كل مدينة كونت دولة أو إمارة لوحدها . نظام المدينة الدولة – city-stete (نظام سياسي محوره المدينة التي تنحصر فيها السيادة ، حيث أن كل مدينة كانت محاطة بأسوار تدعى" بيرني " تتكون هذه الإمارات من سبعة هي : " كانو" – "كاتسيا " – " زاريا " – " جوبير " – " دورا " – "رانو" ،" زمفرة " حيث يرى الباحثين أنّ " دورا " هي أقدم هذه الإمارات،" زاريا "أوسعها أرضًا ، "كانو" أغناها ، " جوبير" أجدبها ، فكانت تندلع الحروب فيما بينهما كما تكالبت عليها الدول المجاورة بورنو من الشرق ودولة مالي ثم صنغاي من الغرب.

اشتهر سكان الهوسا بالمهارة في الزراعة و الصناعة والتجارة وقد وصلت بضائع الهوسسين إلى مناطق النوب الحبشية شرقًا ، استفادت أيضًا من دروب الجحيج الوافدة من شنقيط ودان ، تمبكتو .

انتشر الإسلام في إمارات الهوسا في أوقات مبكرة من أواخر القرن 12م وباقي الإمارات القرن 14ميلادي ، وقد ساهم العلماء العرب الرحالة في كتابة أجزاء مختلفة من تاريخ المنطقة كإبن بطوطة الذي زار المنطقة 1353ولم يذكر سوي " جوبر " من إمارات الهوسا .

كان حسن الوزان من الذين تكلموا عن إمارات الهوسا في القرن الخامس عشر فذكر كانو كاتسينا – زاريا ورمفزة وغوبر ؛و يعد ما خلده لنا العالم التلمساني عبد المغيلي الذي زار كانم وكتب مخطوطات باللغة العربية لا زالت محفوظة إلى اليوم يوضح فيها دراسة لقوانيين الأحكام الدستورية حيث كتب رسالة شاملة عن واجبات الملك المسلم ، حيث اعتبرت هذه الرسالة وثيقة رسمية كتبت باللغة العربية سمي " تاج الدولة فيما يجب على الملوك " خاصة في عهد الملك محمد رونقا (1463- 1499) الذي يمكن إعتبار أنه جعل الإسلام دينًا رسميًا، حيث يعتبر القرن الخامس عشر تاريخًا مهمًا لبلاد الهوسا ذلك لاتصالها بالعالم الخارجي وانتشار الإسلام على الطرق الصحيحة.

وتؤكد المصادر أن الإسلام انساب إلى الهوسا من جهة الغرب وليس من الشرق كما هو الوضع في دولة كانم بورنو، ذلك راجع إلى عامل الهجرة من وإلى قبائل الفولاني من جهة أخرى لكثرة عدد هذه القبائل في إفريقيا الغربية منذ كانوا تابعين لدولة غانا ثم مالي ثم خضعوا بعد ذلك إلى صنغاي .

وما إن جاء القرن 16 ميلادي حتى ازداد الإسلام قوة في إمارات الهوسا بالتعاون بين العرب المسلمين والقبائل الفولانية التي اهتمت بالزراعة والتجارة بما أن أراضي الهوسا تمتاز بالخصوبة والمياه .

وقد ذكر الإسلام في كتب ومصادر كثيرة أهمها بعض المخطوطات الوظائفية التي عثر عليها العالم " palmer بلمر " في ولاية فانو ونشرها سنة 1928 في مجموعة سماها: " ذكريات سودانية " مكتوبة بالعربية وما يذكر في هذا المخطوط أن أول ملك أسلم كان يسمى ياجي (1349-1385) على يد عالم مسلم يسمى عبد الرحمان زغيت سنة 1380و1381 و أقيم في كانو أول مسجد في كل ولايات الهوسا. وبعده الملك عمر 1410-1431م - الذي يعتبر وصوله نقطة تحول حيث قضى على

أمّا كاتسينا -" كاستينا " فقد وصل الإسلام إليها في نفس الوقت الذي وصل فيه إلى كانو وأول الحكام الذين أسلموا هو "محمد كورا الذي حكم حتى عام 1430و قضى على الوثنية أمّا في باقي الإمارات فقد انتشر متأخرًا ففي ولاية زازو كان أول ملك أسلم هو الملك الرابع والعشرون واسمه عليلوه الذي حكم أواخر القرن 16م.

اهتم سكان إمارات الهوسا بالتجارة أيضًا مستغلين موقع بلادهم في الوسط ، فكانت قوافلهم الصحاري ثلاث أشهر من كل عام واخترقت قوافلهم أيضًا الغابات الجنوبية واتجهوا شرقًا إلى برنو حيث فتحوا طريقًا للتجارة عام 856هـ-1452م ، وصلوا جنوبًا حتى فولتا الأوسط ، وأصبحت نقاط التواصل مع العالم في كل من غدامس فزّان تكدا،برنو ...

وأخذت كل من كانو وكاتسينا مكان الصدارة في إمارات الهوسا الإسلامية من العلماء الذين زاروا الهوسا هم : عبد الرحمان زيد الذي مارس نشاط دعوته في كانو، محمد المغيلي في كانوا وكاتسينا . كل تلك الأحداث التي جعلت إمارات الهوسا الإسلامية حواضر تجارية وثقافية جعلتها محل أطماع الطامعين من كل الجهات وعبر فترات زمنية مختلفة ، ففي عام 1513أرسل ملك سنغاي "أسكيا محمد " قواته للسيطرة فقتل كل من ملك جوبير ، كاسينا وزازو وأسر ملك كانو ، ثم محاولات مملكة برنو من الشرق ثم بعد ذلك تحرّرت بعض ممالك الهوسا من سنغاي عام 1554(كاتسينا) ثم نتيجة تلك الصراعات بدأت تضعف شيئًا فشيئًا حتى سقطت في يد الاستعمار الأوربي في الربع الأخير من القرن 18م تقاسمتها فرنسا وبريطاني بالإضافة إلى بلاد النيجر .